﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾

[المنافقون: 7 - 8]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قبلَهُما:

بعدَ أن حَكَى النَّظمُ الجليلُ جُملةً من أقوالِهم الشَّنيعةِ وسلوكِهم إزاءَ دَعوَتِهم إلى طَلَب المغفرة من النَّبيِّ ﷺ أتبَعَه هنا بحكاية جُملةٍ أخرى من مَقولاتهم الَّتي يقولونها في مجامعهم، ويقصدون بها الإضرارَ بدعوة الإسلام، فكما أعرضوا عن طلب الاستغفار فإنَّهم يدعون إلى كَفِّ الإنفاق[1].

بعدَ أن أعرضوا عَـــن طـلـب الاستغفار دَعَوا إلى مَنعِ الإنفاق

ولمّا ذَكَر في الآية السّابقة إعراضَهم عن القُرب من رسول الله ﷺ انتقل إلى وصفِهم في هذه الآية بذكر فعلٍ قبيحٍ؛ ولونٍ آخر من نفاقهم، وهو كيدهم للمسلمين في سورة نصيحة للأنصار في دعوتهم عَدَمَ الإنفاق على المسلمين.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَنفَضُّواْ﴾: (فضض) أصلٌ يدُلُّ على تفريقٍ وتجزئةٍ. من ذلك: فضضت الشَّيء، إذا فرَّقته، وانفضَّ القومُ: تفرَّقوا[2]. وفضاض الشَّيءِ: ما تَفَرَّق منه عند كسرك إيّاه. وانْفَضَّ الشّيء، أي انكسر. وفضضت القوم فانْفَضّوا، أي فرَّقتهم فتفرَّقوا. وكلُّ شيء تفرَّق فهو فضض[3]. الفَضُّ: كَسرُ الشَّيءِ والتَّفريق بين بعضه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 246.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فض).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (فضض).

وبعضه، كفَضِّ ختم الكتاب، وعنه استعير: انْفَضَّ القومُ. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: 11][1]. والمرادُ به في الآية الكريمة: تفرَّقوا[2].

2) ﴿خَزَآئِنُ﴾: (خزن): يَدُلُّ على صيانَةِ الشَّيءِ[3]، يُقال: خَزَنَ الشَّيءَ يَخْزُنه خَزْناً واخْتَزَنه: أحْرَزه وجَعَلَهُ في خِزانةٍ. والخِزانةُ: اسْمُ المَوْضِعِ الَّذي يُخْزَن فيهِ الشَّيْءُ، واحِدَةُ الخَزائن[4]، والمَخْزَن، ما يُخْزَن فيهِ الشَّيْءُ[5]، وخِزانَةُ الرّجلِ قلْبُه، وخازِنهُ لِسانه[6]، والمقصودُ بالخَزائِنِ في الآية: جَمعُ خِزانَةٍ، وهي الأرزاق[7].

3) ﴿ٱلْأَعَزُّ﴾: (عزز) أصلٌ يدُلُّ على شِدَّةٍ وقوَّةٍ وما ضاهاهما، مِن غَلَبَةٍ وقَهرٍ[8]. والعِزُّ: القوَّةُ والشِّدَّةُ والغَلَبَةُ والرِّفعةُ والامْتِناع، وهو خِلاف الذُلِّ[9]، يقال: عَزَّ يَعَزُّ بالفتح: إذا اشتَدَّ وقَوِيَ، وبالكسر للمُضارع: إذا قَوِيَ وامتَنَع، وبالضَّمِّ: إذا غَلَب وقَهَر[10]. وعَزَّ فلانٌ، أي: صار عَزيزًا، أي: قَوِيَ بعد ذِلَّة. وأعَزَّهُ اللّه، وهو يَعْتَزُّ بفلان[11]. والمراد به في الآية الكريمة: الأقوى والأقدرُ على المنع[12].

4) ﴿ٱلْأَذَلَّ﴾: (ذلل) أصلٌ يدلُّ على الخضوع والاستكانة، واللّين[13]. والذُّلُّ ضدُّ العِزِّ، وهو ما كان عن قَهرٍ[14]. يُقالُ: ذلَّ يذِل ذُلًّا، فهو رَجُلٌ ذليلٌ بيِّن الذُّلِّ والذِّلَّة والمَذَلَّة، وجَمْعُه أذلّاء وأذِلَّة[15]، ويقال: ذَلَّ وتَذَلَّلَ، أي: هانَ، وضِدُّهُ: الصُّعوبَةُ، يُقال: ذَلَّ الشَّيْءُ، أيْ: سَهُلَ

(1) الرّاغب، المفردات: (فض).
(2) السّمعانيّ، تفسير السّمعانيّ: 5/ 445.
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (خزن).
(4) ابن عباد، المحيط في اللُّغة، وابن منظور، لسان العرب: (خزن).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (خزن).
(6) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللُّغة: (خزن).
(7) العليميّ، فتح الرّحمن: 7/ 67.
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عز).
(9) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (عزز).
(10) النَّحّاس، معاني القرآن: 1/ 379.
(11) الجوهريّ، الصّحاح: (عزز).
(12) السّمعانيّ، تفسير السّمعانيّ: 5/ 445.
(13) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ذل).
(14) الجوهريّ، الصّحاح: (ذلل).
(15) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ذل).

ولانَ[1]، والذَّلَولُ: السَّهْلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ[2]، والذِّلُّ بالكسر: اللّين والطَّواعية والانقياد[3]. يُقالُ: ذلَّ يذِلُّ ذِلًّا، فهو ذلول، ويكون وصفًا للإنسان، والذَّكرُ والأنثى فيه سواء، وجمع الذَّلول ذُلُل[4]، والمراد به في الآية الكريمة: الأعجز عن النَّفع[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

المنافقون لا يفقهون أنَّ الأرزاق بيد الله

يُخبر الله تعالى في هاتين الآيتين أنَّ هؤلاء المنافقين يقولون لأهل المدينة: لا تُنفقوا على أصحاب رسول الله من المهاجرين الفقراء كي يتفرّقوا عنه، ولكنَّهم جَهِلوا أنَّ الأرزاق بيد الله وحدَه، فله دون سواه خزائنُ السَّماوات والأرض، يُعطيها مَن يشاء ويمنعها عمَّن يشاء، ولكنَّ المنافقين لا يفهمون تلك الحقائقَ التي يعرِفُها كلُّ أحد، ويقول هؤلاء المنافقون: إذا رجعنا إلى المدينة لَنُخرِجَنَّ نحنُ الأعزّاءُ مِن المدينة القومَ الأذلّاء، والحقُّ أنَّ العِزَّة لله وحدَه ولرسوله ﷺ، وللمؤمنين، لا لِأحدٍ سِواهم؛ ولكنَّ المنافقين لا يعلمون ذلك، لِفَرَطِ جَهلِهم[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نُكتةُ فَصلِ الآية عن سابقتها:

فضحُ كَيدِ المنافقين بَعدَ إعراضهم عن الاستغفار

فَصَلَ النَّظمُ الجليلُ الجملة في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ لأنَّها مستأنفةٌ استئنافًا ابتدائيًّا، سيقت لِكَشفِ مَكرِهم وبَيان سوء نيّاتهم، وانتقالًا مِن وصف إعراضهم عن الاستغفار إلى وصف نوعٍ آخر مِن أعمالهم

(1) الزَّبيديُّ، تاج العروس: (ذلل).
(2) اللَّخميُّ، شرح الفصيح، ص: 110.
(3) السّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (ذلل).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (ذل).
(5) السّمعانيّ، تفسير السّمعانيّ: 5/ 445.
(6) جماعة من العلماء، التّفسير الميسّر: 1/ 555.

وكُفرِهم، وهو الكيدُ للدّين[1]. ويجوز أن تكون الجملةُ مستأنفةً جاريةً مجرى التَّعليل لِفسقهم أو لِعَدَمِ مغفرة الله لهم.[2]

نكتةُ التَّعبيرِ بضمير ﴿هُمُ﴾:

إظهارُ النِّفاق وكَشفُ كيدِ المنافقين

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ عن المنافقين بالضَّمير المُنفصل ﴿هُمُ﴾ في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ دون الضَّميرِ المستتر: (الّذين يقولون)؛ وذلك لمعاملتهم بنقيض مقصودهم، فإنَّهم سَتَروا كَيدَهم ونِفاقَهم بإظهار النَّصيحة، فَفَضَح اللّهُ باطنهم بالتَّصريح بالضَّمير، كما أنَّ في إظهار الضَّمير تعريضًا بالتَّوبيخ. وجاء بصيغة الجمع ليعود على عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول وأصحابِه مِن المنافقين، وكأنَّ التَّعبيرَ بالضَّميرِ ﴿هُمُ﴾ يُشير إليهم، وفي هذا مزيدُ تبكيتٍ وتوبيخٍ.

دلالةُ التَّعبير بالجُملة الاسميَّة:

تأكيدٌ للمعنى وتقويةٌ للتَّوبيخ

جاء التَّعبيرُ بالجملة الاسميَّة ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ دونَ الفِعليَّة لإفادةِ إثبات الخَبرِ الوارد ذِكرُه في الآية في دَعوةِ المنافقين للأنصارِ بِعَدَم الإنفاقِ على المهاجرين رضوانُ الله عليهم، وفي التَّعبير بها تأكيدٌ للمعنى وتقويةٌ للتّوبيخ[3].

دلالةُ التَّعبير بالاسم الموصول وصِلَتِه:

عَبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بالاسم الموصول في قولِه جَلَّ شأنُه: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ وذلك للدِّلالة على أنَّهم قد عُرِفوا بما في حَيِّز الصِّلَة، وشُهِروا به[4] لفضحهم به؛ وجاء بصيغة الجَمعِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مع أنَّ القائل واحدٌ وهو عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول، لكنَّهم لمّا رضوا بقوله ووافقوه عليه فَكَأنَّهم قالوا هذه المقالة السَّيِّئة.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 246.
(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 232.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 246.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 246.

سِرُّ التَّعبيرِ بالفِعل المضارع ﴿يَقُولُونَ﴾:

إخراجُ أقوالِهم المُنكَرَة في ثوب النُّصح مِن باب الخداع

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بـ(القول) في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ دون أن يُعبِّر بـ(الأمر) أو (النَّهي)، لأنَّ القولَ أعَمُّ، فيندرج تَحتَه الأمرُ والنَّهيُ، ولِكَي يكونَ قَولُهم على سبيل النُّصح والحرص على الأنصار بِعَدَم ضياع أموالهم على سبيل الخداع والتَّلبيس، وجاء بصيغة المضارع للدِّلالة على أنّ هذه المقالة متكرِّرةٌ مِنهم، فَهُم قالوا ذلك وما زالوا يقولونه مُستَمرّين عليه[1].

دلالةُ النَّهي في قولهم ﴿لَا تُنفِقُواْ﴾:

طَلَبُ الكَفِّ عن الإنفاق على أصحاب رسول الله تضييقًا عليهم

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بأسلوب النَّهي في قولِه جَلَّ شأنُه: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ وهو دالٌّ على طلب الكَفِّ عن الإنفاق، وتقديم العَون لِمن كان عند النَّبيِّ ﷺ[2]. والمرادُ مِن ذلك تحريضُ وإبعادُ النّاس عن النَّبيِّ ﷺ. وفيه إشارةٌ إلى ما تُكِنُّه قلوبُهم مِن البغضاء والحقد على المسلمين الذي ظَهَر في قوله: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾.

سِرُّ التَّعبير بالنَّهي عن النَّفقة دون الإطعام:

تعميمُ أنواع التَّضييق على الصَّحابة الكرام

جاء التَّعبيرُ بالنَّهي عَن الإنفاق على لسان المنافقين في قوله: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ دون أن يقول: (لا تُطعِموا) لأنَّ الإنفاق أعمُّ، فيشملُ المالَ والطَّعامَ والشَّرابَ واللِّباسَ، وهُم يُريدون بذلك تجويعَ المهاجرين رضوان الله عليهم حتَّى يَنفَضّوا عن رسول الله ﷺ.

دلالةُ ضَمير الجماعة في قوله ﴿لَا تُنفِقُواْ﴾:

توسيعُ الحصارِ على المهاجرين

دعا رأسُ المنافقين عبدُ الله بن أُبَيٍّ ابن سلول ومَن معه الأنصارَ بضمير الجَمعِ في قوله تعالى: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 20/ 86.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 14/ 410.

ليوَسِّعوا الدّائرة فيدخلَ في هذا الكثيرُ مِن الأنصارِ في زعمهم، وبذلك يكون الأمرُ على العموم ليتّسع الحصارُ على المهاجرين، وهذا دليلٌ على خُبث المنافقين في تعاملهم مع المسلمين.

نكتةُ حَذفِ مفعول الإنفاق:

إفادةُ العُمومِ والشُّمولِ

حذَفَ النَّظمُ الجليلُ مفعولَ فِعلِ الإنفاق في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ فلم يقُل: (لا تنفقوا أموالَكم)؛ ليشمل كُلَّ ما يُنفَق مِن الأموال وغيرِها مِمّا هو مَحَلٌّ الإنفاق. فدَلَّ الحذفُ على العُموم والشُّمول.

نكتةُ تَعدية فِعل الإنفاق بحَرفِ الاستعلاء:

التَّكبُّر والتَّعالي مِن شيَمِ المُنافق

عَدَّى النَّظمُ الجليلُ فِعلَ الإنفاق بحرف الاستعلاء ﴿عَلَىٰ﴾ في قولِه جَلَّ شأنُه: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ وذلك للدِّلالة على التفضُّل والتَّكبُّر، فجعلوا إنفاقَهم منّةً وعطاءً مِن فوق، لا إحسانًا خالصًا، فيظهر بذلك احتقارُهم للمنفَق عليهم.

دلالةُ التَّعبير بـ﴿مَنۡ﴾:

شمولُ النَّهي لِكُلِّ مُسلِمٍ

عَبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بالاسم الموصول ﴿مَنۡ﴾ في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ دون (الّذين)[1] لأنَّه أبلَغُ في دلالة العموم مِن التَّعبيرِ بـ(الَّذين) فيشمل كُلَّ مَن كان عند النَّبيِّ ﷺ، فلم يكن النَّهيُ عن الإنفاق عَن أحَدٍ بعَينه، بل عن كُلِّ مُسلِم، بخلاف التَّعبير باسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ فإنه وإن أفاد العموم لكنَّه قد يُحمل على مجموعةٍ مِن الصَّحابة دون غيرها، وليس هذا قصدَ المنافقين، بل قصدُهم كُلُّ مَن آمن برسول الله رجالًا ونساءً، شيوخًا وأطفالًا؛ لأنَّ قَصدَهم هو الحصار والتَّجويع.

دلالةُ التَّعبير بالظَّرفيَّة ﴿عِندَ﴾:

عَبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بِشِبه الجملة ﴿عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ في قوله

(1) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 296.

جَلَّ شأنُه: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ للدِّلالة على النَّفَر الَّذين كانوا في رعاية النَّبيِّ ﷺ، ويعنون بهم فقراءَ المهاجرين وغيرهم[1]، مثل أهل الصُّفَّة، ومَن كانوا يَلحَقون بالمدينة مِن الأعراب العفاة، أو فريقٍ مِن الأعراب كان يُمَوِّنُهم رسول الله ﷺ، وقَصْدُ المنافقين مِن وراء ذلك إبعادُ الأعراب عن تلقّي الهدي النَّبَويِّ وعن أن يَتَقَوَّى بهم المسلمون، وهذا دليلٌ على خُبث هؤلاء المنافقين وسوء نيّاتهم.

تخصيصُ المَنعِ بِمَن هُم في كَنَفِ النُّبوَّة

سِرُّ التَّعبير بقوله ﴿رَسُولِ ٱللَّهِ﴾:

جاء التَّعبيرُ القُرآنيُّ بِوَصفِ الرِّسالة على لسان المنافقين في قوله: ﴿عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ مع أنَّهم لا يعتقدون ذلك مِن باب التَّهكُّم، ويحتمل أن يكون قالوه مِن باب النِّفاق كما سَبَقَ في صدر السّورة ﴿نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ﴾ أو أنَّهم قالوا بلفظٍ آخر نحو: (محمَّد وأصحابه)، فغيَّرها الله ﷻ إجلالاً إجلالًا لنبيِّه ﷺ وإكراماً وإكرامًا له.[2]

تَهَكُّمُ المنافقين بالمسلمين، أو تمامُ خِداعِهم ونِفاقِهم

غَرَضُ إضافة الرَّسول إلى اسم الجلالة:

أضاف النَّظمُ الجليلُ لَفظَ الرَّسولِ إلى اسم الجلالة في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ والمنافقون لا يُقِرّون بِنُبوَّة النَّبيِّ ﷺ وإنَّما قالوا ذلك على سبيل الهُزء؛ لأنَّه لو كان رَسولَ الله لأغنى أصحابَه وما احتاجوا إلى أن يُنفق النّاسُ عليهم[3].

الهُزْءُ بالرِّسالة مِن شناعات المنافقين

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿حَتَّىٰ﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بـ﴿حَتَّىٰ﴾ في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ وهي هنا مستعملةٌ في التَّعليل، فإنَّ المراد من النَّهي عن الإنفاق هو تفرُّقُهم وتَركُهم النَّبيَّ ﷺ[4].

غايةُ النَّهي التَّفريقُ والتَّفتيتُ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 215.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 28/ 115.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 183.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 247.

دلالةُ التَّعبير بـ(الانفضاض) مادَّةً وصيغةً:

التَّفريقُ بُغيةَ التَّهوين وإظهارِ الخذلان

عبَّرَ النَّظمُ الجليل بالانفضاض في قولِه جَلَّ شأنُه: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ دونَ التَّفَرُّق لِوُجود فَرقٍ بينهما؛ فأصلُ الانفضاضِ يَدُلُّ على التَّفريق والتَّجزئَة؛ ويُطلقُ الفَضُّ على كَسرِ الشَّيءِ والتَّفريقِ بَينَ بَعضِه وبَعضِه، ويُطلَقُ على تفريق حلقة مِن النّاس بَعدَ اجتماعهم، فَهو تَفَرُّقٌ مَذمومٌ؛ بخلاف (التّفريق) الَّذي يَدُلُّ على تمييزٍ وتزييلٍ بين شيئين، فَهو يَدُلُّ في مادَّته اللُّغويَّة على الانفصال، ولهذا آثر القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بالانفضاض لدلالته على التّفرّق المذموم الَّذي فيه كسرٌ لوحدة الجماعة المتَّصلة برسول اللّه، وذلك بأن يذهب كُلُّ واحدٍ مِن الَّذين عنده إلى أهله وشُغلِه الَّذي كان له قبل ذلك[1].

دلالةُ الواو في قوله ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ﴾:

يَدْعون لِمنع الإنفاق، والحالُ أنّ بيدِ الله الأرزاق

افتتحَ النَّظمُ الجليلُ الجملة بالواو في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وهي هنا للحال[2]، أي يقولون ذلك والحال أنَّ المُلكَ كُلَّه لِلّه تعالى، وليس لأحدٍ أمرٌ في شأن الرّزق، فهو تعالى الآمر النّاهي[3]. ويجوز أن تكون الواو عاطفةً على جملة ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ إبطالًا لمكر المنافقين فيما قَصَدوه مِن قولهم المتظاهرين به أنَّهم قصدوا النُّصح وهم كاذبون.[4]

دلالةُ اللّام في (لله):

المُلكُ المُطلَق والتَّصرُّفُ التّامُّ، لله المَلِكِ العَلّام

عَبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بحرف الجَرِّ (اللّام) في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ وهي هنا دالَّةٌ على الملك والتَّصرُّف، أي ملكهما والتَّصرُّفُ بهما لله تعالى وحدَه[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 20/ 87.
(2) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 726.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 20/ 88.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 28/ 115.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 248.

نُكتةُ تقديم شبه الجملة على المسند إليه:

حَصْرُ الملك بيد الله ينقض أماني المنافقين

قدَّمَ النَّظمُ الجليل شِبهَ الجملة على المسند إليه في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فلم يقل: (خزائن السَّموات لله) وذلك للدِّلالة على أنَّ الأرزاق بيد الله تعالى على وجه التّخصيص، وفيه إبطالُ زعم المنافقين بأنَّ عَدَم إنفاقهم يُؤَدّي إلى انفضاض الفقراء عن النَّبيِّ ﷺ[1]؛ بل خزائنُ الأرزاقِ بيد الله تعالى يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، فهو المتصرِّفُ وحدَه؛ يُؤَكِّد ذلك دخولُ اللّام على اسم الجلالة والّتي تَدُلُّ على قصر الأرزاق عليه سبحانه، وهو قَصرُ قلبٍ لِلازم قَولِهم لا لصريحه؛ لأنَّ المنافقين لمّا قالوا ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ حسبوا أنَّهم إذا قطعوا الإنفاق على أصحابه لا يجدون ما يقتاتون به؛ فأعلَم اللّهُ رسولَه مباشرةً وأعلَمَهم تبعًا بأنَّ ما عند الله مِن الرِّزق أعظمُ وأوسَعُ[2].

نُكتةُ التَّعبيرِ بِلَفظِ ﴿خَزَآئِنُ﴾ وجمعها:

وَفرَةُ الأرزاق بلا عَدٍّ، وتنوُّعُها بلا حَدٍّ

عَبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بلفظ الخزائن في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ دون غيرها، وذلك لتعدُّد المراد بها؛ فتُطلق على مفاتيح الرِّزق والمطر والنَّبات، وفي هذا دلالة على أنَّ الأرزاقَ كُلَّها بيده تعالى[3]، وتُطلق على مقدوراته سبحانه؛ لأنَّ فيها كلَّ ما يشاء مِمّا يريد تيسيره لرسوله ﷺ مِن زكوات المسلمين وغنائم الغزوات وما فتح الله به عليه من البلاد بخيراتها.[4]

وجاء التَّعبيرُ بالجمع للدِّلالة على أنَّ جميع ما في السّماوات وما في الأرض بيده تعالى؛ فخزائِنُه متعدِّدةٌ، مِنها ما هو في السَّماء

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 253.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 248.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 215.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 248، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 15/ 333.

ومنها ما هو في الأرض، ومنها الخزائنُ الظّاهرة، ومنها الخزائنُ الباطنة، وكلُّها تحت أمرِه سبحانه يُنفِقُ منها كيفَ يشاء[1].

فائدةُ إضافة (الخزائن) إلى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾:

أضاف النَّظمُ الجليلُ لَفظَ (الخزائن) إلى ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ في قوله جَلَّ شأنه: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ للدّلالة على سَعة خزائنه تعالى، فَهُما مُحيطان بِكُلِّ شَيءٍ[2]، فهو تعبيرٌ عن ملك الله تعالى لِكُلِّ شَيءٍ يحتاجه الإنسانُ مِن الطَّعام والشَّراب والمعادن، وكُلِّ ما يَتَصَوَّرُه وفيه منفعةٌ له مادّيَّةٌ أو معنويَّةٌ. ومِمّا يُذكَر في دلالة الإضافة أنَّه لَمّا كان حصولُ أكثَرِ الأرزاق من السَّماء والأرضِ جميعًا، ذَكَرهما معًا.

تمام الإحاطة بأرزاق العباد مع الانفراد بالتَّصرُّف

نُكتةُ تقديم ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على (الأرض):

قدَّمَ النَّظمُ الجليلُ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على (الأرض) في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ لِعِظَمِها وسَعَتِها وشَرَفِها على الأرض.

نُكتةُ جَمعِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وإفرادِ (الأرض):

عبَّرَ النَّظمُ الجليل بِجَمع ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ في قولِه جَلَّ شأنُه: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ وذلك للدِّلالة على كثرتها وتعدُّدها، كما أنّه يُشير إلى سعة خزائنه تعالى[3].

دلالةُ الواو في ﴿وَلَٰكِنَّ﴾:

عبَّرَ النّظمُ الجليل بالواو في قوله جَلَّ شأنه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ وهي هنا للاستئناف[4]، وذلك لتقرير حقيقةٍ مُستقلَّةٍ بذاتها وهي جهلُ المنافقين، وجَعلُها في جملةٍ مستأنفة يُنَبِّه على هذه الحقيقة ويُقَرِّرها.

الاستئناف لتقرير حقيقة جهل المنافقين

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 29/ 333.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 29/ 333.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 20/ 88.
(4) محمود صافي، الجدول: 14/ 257، وجماعة من المؤلّفين، إعراب القرآن: 4/ 2465.

دلالةُ التَّعبير بـ(لكنّ):

رَفعُ تَوَهُّم العِلم وإثبات الجهل للمنافقين

عبَّرَ النّظمُ الجليل بحرف الاستدراك (لكنّ) في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ وذلك لرفع ما قد يقع مِن وهم مِن قولهم إذ قالوا: ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ بأنَّهم قالوه عن بصيرةٍ وحِنكةٍ وعِلمٍ ويقينٍ بأنَّ انقطاع إنفاقهم عنهم سيقطع رِزقَهم فينفضّون عنه، فأبطل الاستدراك بـ(لكنّ) ذلك الوَهمَ، فَهُم إنّما قالوا ذلك لجهلهم بأنّ الأرزاق بيد الله تعالى وقدرته، ولأنَّهم لا يُدركون دقائق الأمور وخفاياها[1].

دلالةُ التَّعبير بالإظهار دون الإضمار:

الإظهارُ يُؤَكِّد الحقيقة الرّاسخة

جاء التَّعبيرُ بإظهار لفظ المنافقين دون الإضمار في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾؛ للتَّسجيل على نفاقهم، ولِبيان عِلَّة الحُكم، وللتّصريح بصفتهم الّتي جاء السّياقُ لبيانها وكَشفِها، وجاء التَّعبير بصيغة اسم الفاعل للمبالغة في اتِّصافهم به، أي (العريقين في النِّفاق)[2].

نُكتةُ تقديم المسند إليه على المسند الفِعليّ المَنفيّ:

تأكيدُ الحرمانِ مِن الفقه ورسوخِه في المنافقين

قدَّمَ النَّظمُ الجليلُ المُسنَدَ إليه على المسنَدِ الفِعليِّ في قولِه جَلَّ شأنُه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾؛ وذلك لِتَأكيدِ الحُكم وتقويةِ الخَبر، فَهو يُبَيِّنُ أنَّ انتفاء الفِقه ليس مجرَّدَ وصفٍ عارضٍ، بل هو صَفةٌ مُتأصِّلَةٌ وراسخةٌ فيهم.

دلالةُ التَّعبير بـ﴿يَفْقَهُونَ﴾ مادَّةً وصيغَةً:

جَهلٌ لِدَقائق الأمورِ مُتَأصِّلٌ ومستمرٌّ

عبَّرَ النَّظمُ الجليل بالفقه في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ لأنَّ الفِقهَ يُطلَق على فَهمِ المعنى المراد، فيُقال: (فَقُه الرَّجل) بالضمِّ والكسر، إذا فَهِم أو عَلِم، ولأنَّه يُطلَق على الوقوف على

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 248.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 20/ 88.

المعنى الخَفيِّ، ولمّا كان الأمرُ كذلك، آثر التَّعبير بنفي الفقه عنهم؛ للدِّلالة على أنّهم لا يُدركون دقائق الأمور وخفاياها[1]. وذلك لِجَهلِهم بشأن المال والرِّزق فَظَنّوا أنَّهم يمنعون الرِّزق عن فقراء المهاجرين إذا منعوا الإنفاق عنهم. وجاء التَّعبيرُ بصيغة الفعل المضارع للدّلالة على تجدُّدِ النَّفي، فانتفاءُ فِقههم مُتَجدِّدٌ دائِمٌ لا يفارقهم.

نُكتةُ حَذفِ المفعول:

لا يفقهون تدابير الله في ملكه

حذَفَ النَّظمُ الكريم مفعولَ (الفقه) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ للعلم به من السّياق؛ إذ المعنى: (لا يفقهون تدابير الله تعالى في ملكه، وأنَّ الأرزاق بيده تعالى). وهو مضمونُ قولِه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فلذلك يقولون مِن مقالات الكُفر والضَّلال ما يقولون[2]. ويجوز أن يُنَزَّل الفعلُ منزلة اللّازم مبالغةً في انتفاء فقه الأشياء عنهم في كُلِّ حال.

نُكتةُ فَصلِ الآية عن سابقتها:

ادِّعاؤُهم العِزَّةَ كاشِفٌ لجَهالتهم

فَصَلَ النَّظمُ الجليل الجُملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ لأنَّها مستأنفةٌ استئنافًا بيانيًّا، فكأنَّ سائلًا سأل فقال: لِمَ كانوا لا يفقهون؟ فقيل: لأنَّهم يقولون ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾[3]. ويجوز أن يكون الاستئنافُ لبيان خُبث نواياهم في إفساد أخلاق الأنصار في علاقتهم بالمهاجرين ببثِّ بذور الفتنة والشِّقاق.

دلالةُ التَّعبيرِ بـ(القول) مادَّةً وصيغةً:

تصويرٌ لتجاذُبِ المنافقين أنواعًا مِن الكلامِ المتجدِّدِ الضّارِّ

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالقول دون غيرِه؛ لأنَّه أعَمُّ، فَيَشمَلُ الكلامَ الظّاهرَ والكلامَ النَّفسيَّ، لأنَّ طَبيعةَ المنافقين تَقوم على الإخفاء لِما يضمرونه للمسلمين، وفيها تصويرٌ لِحالَةِ تَجاذُبِ أطرافِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 248.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 253.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/ 232.

الحديثِ الَّذي يدور بينهم، فيقول بعضُهم لبعضٍ هذا القَولَ، وهو وإن صدر مِن عبد اللّه بن أبيٍّ ابن سلول إلّا أنَّهم وافقوه عليه، ويُؤَكِّد ذلك التَّعبيرُ بالفعل المضارع ﴿يَقُولُونَ﴾ وذلك لتصوير المشهد واستحضار الحالة البغيضة[1]. كَما أنَّه دالٌّ على التَّجديد والاستمرار.

دلالةُ التَّعبير بالجمع في ﴿يَقُولُونَ﴾ مع أنَّ القائل واحدٌ:

أسنَدَ القرآنُ الكريمُ القولَ إلى جميع المنافقين في قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾ مع أنَّ القائل كبيرُ المنافقين ابنُ سلول، لأنَّه كان رئيسَهم وصاحبَ أمرِهم وهُم راضون بمقولته، فَرِضاهم بهذه المقولة جَعَلَهم في حُكم قائلها.

دلالةُ اللّام في ﴿لَئِن﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ باللّام في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ وهي هنا موَطِّئَةٌ لِلقَسَم، مفيدةٌ لِلتَّأكيد[2]. وإنَّما أكَّدوا كلامَهم لِعلمِهم أنَّ أكثرَ قَومِهم يُنكرون هذا القول[3]. ومِمّا يُذكَر في دلالة اللّام أنَّها تُعَبِّر عن حالة خَوفِهم وضَعفِهم؛ فَأتَوا باللّام ليُبرزوا صورة القوَّة في تنفيذ ما يقولون مَعَ أنَّهم جبناء ولا يملكون تنفيذ ما يقولون لِحُبِّ الأنصار لرسول اللّه.

تـأكـيـدُ الأمـر وتظاهُرٌ بالقوَّة

دلالةُ التَّعبير بـ(إن) دون (إذا):

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بأداة الشَّرط (إن) في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ وهي دالَّةٌ على الاحتمالِ والشَّكِّ[4]. والتَّعبيرُ بأداة الشَّكِّ والاحتمالِ يَكشِفُ عن تناقُضٍ داخِلِيٍّ؛ وذلك أنَّهم يُؤَكِّدون كلامَهم بالقَسَم فَيُظهرونه مَظهَرَ الواثق القَويِّ، ولكنَّهم يُعَبِّرون عن شرطِهم بما يَدُلُّ على

الـحَـزمُ والـعَـزمُ ليس حقيقيًّا في سلوك المنافقين

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 14/ 410.
(2) جماعة من المؤلّفين، إعراب القرآن: 4/ 2465.
(3) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 296.
(4) محمّد الهلال، تفسير القرآن الزّريُّ الجامع: 28/ 92.

الاحتمال وعَدَم اليقين، وهو تعبيرٌ عن ضعفِهم ونفاقِهم لِما رَأوا مِن نُصرةِ اللّه لِنَبيِّه في هذه الغزوة.

سِرُّ التَّعبير بـ(الرُّجوع) مادَّةً وصيغةً:

العودُ إلى الموئل مظنَّةُ القوَّة للضَّعيف

عبَّرَ النَّظمُ الجليل بالرُّجوع في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ دون العود لأنَّ الرُّجوعَ يَختلف عن العود، لدلالته على العَود إلى ما كان منه البدء[1]، مكانًا كان أو فعلًا أو قولًا، وبذاته كان رجوعُه أو بِجزءٍ مِن أجزائِه أو بِفعلٍ مِن أفعالِه؛ بخلاف العَود فإنَّه يُطلَقُ على الرُّجوع إلى الشَّيءِ بَعد الانصراف عنه إمّا بالذّات أو بالقول والعزيمة، وعلى هذا فالرُّجوعُ أعَمُّ مِن العود؛ لذلك آثر التَّعبيرَ به، ولأنَّ بَدْأ خروجهم كان مِن المدينة المنوَّرة فإنَّ عودهم إليها هو رجوعٌ، أي إذا رَجعْنا مِن غزوة بني المصطلق، وعُدنا إلى بلدنا المدينة المنوَّرة[2].

وجاء التَّعبيرُ بصيغة الماضي ليُطَمئِنوا أنفسَهم ويُزيلوا خَوفهم مِن عدم العودة لسببٍ أو لآخر مِن انكشاف أمرِهم وفضح مواقفهم؛ فأرادوا أن يُطَمئِنوا أنفسَهم في عودتهم إلى المدينة بالفعل الماضي.

دلالةُ التَّقييد بشبه الجملة:

ادِّعاءُ الاستحقاق والسُّلطةِ الموهومة

قَيَّدَ النَّظمُ الجَليلُ الرُّجوعَ بشبه الجملة ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ للدِّلالة على مكان الرُّجوع، وأفاد حرفُ الجَرِّ ﴿إِلَى﴾ منتهى الغاية، والمدينةُ هي بلدتهم المعهودة، وهي يثرب[3]. ودَلَّ تقييدُ الفِعل بشبه الجملة أنَّ الإخراجَ مِن المدينة لن يكون إلّا بَعدَ انتهاء الرُّجوع إليها. وهذا يُفصِحُ عن شعورهم بأنَّ المدينة ملكٌ لهم، وأنَّها موطنُهم أصالةً، وهذا يمنحهم قوّةً ونفوذًا،

(1) الرّاغب، المفردات: (رجع).
(2) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 726 - 727.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 249.

فيرون أنَّ هذا يعطيهم استحقاقَ إخراج مَن يرونهم أذِلّاء. فيظهر عُتوُّهم وغرورُهم سافرًا.

نُكتةُ توالي المؤكِّدات في ﴿لَيُخۡرِجَنَّ﴾:

العُتوُّ والتَّكبُّر والثِّقةُ التّامَّةُ بالنَّفس

أكَّدَ النَّظمُ الجليل الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ باللّام والنّون الثَّقيلة وذلك لإبراز إصرار المنافقين على إخراج النّبيّ ﷺ والمهاجرين من المدينة[1].

وفيه إشارةٌ إلى إظهار ثقة جماعة المنافقين، وعلى رأسهم عبد الله بنُ أبيٍّ ابن سلول مِن تنفيذ هذا القرار، وأنَّه لا توجد له مُعَوِّقات لِغَلبتهم وقوَّتهم.

دلالةُ التَّعبيرِ بالخروج في قوله ﴿لَيُخۡرِجَنَّ﴾ مادَّةً وصيغةً:

تَوَهُّمُ المنافقين أحقّيّةَ إخراجِ الرَّسولِ والمؤمنين

دلَّ التَّعبيرُ بالخروج في قوله جلّ شأنه: ﴿لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ على أنَّ المنافقين صمَّموا على عَدَم مُساكنة المؤمنين في المدينة، وأن يجبروا المسلمين أن يعودوا إلى مواطنهم الَّتي خرجوا منها، وجاء التَّعبير بصيغة المضارع للدِّلالة على شِدَّة إصرارهم على تنفيذ ذلك، وإن وجدت مُعَوِّقات، فلن يَمَلّوا تنفيذ ذلك.

وفي التَّعبيرِ بقوله: ﴿لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ دون التَّعبيرِ بقوله: (لنُخرجنَّهم) إشارةٌ إلى الاستعلاء والكراهية الموجودة في نفوس المنافقين بالتَّعبير عن أنفُسِهم بالأعزّاء وعن المؤمنين بالأذلّاء؛ فَكَأنَّ منطقَهم مبنيٌّ على أنَّهم أصحاب العزَّة، بخلاف التَّعبير بقوله: (لنخرجنَّهم) فإنَّه يحمِل معنى الاعتداء والتَّجاوز، أو مِن باب أخذِ حقوقهم المسلوبة، وهذا وذاك غيرُ مُرادٍ.

دلالةُ تعريف لفظَي ﴿ٱلۡأَعَزُّ﴾ و﴿ٱلۡأَذَلَّۚ﴾:

عَرَّفَ النَّظمُ الجَليلُ لفظَي ﴿ٱلۡأَعَزُّ﴾ و﴿ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ بالألف واللّام

(1) محمّد الهلال، تفسير القرآن الرّيُّ الجامع: 28/ 92.

العزّة الزائفة لا سبيل لبقائها

في قوله جلّ شأنه: ﴿لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ وهي هنا لتعريف الجنس، فيُراد بالأعزّ الأنصار؛ فإنَّهم أهلُ المدينة، وأكثرُ أموالًا وعددًا مِن المهاجرين، وأرادوا بالأذلِّ جماعةَ المهاجرين، أي لَيُخرِجَنَّ الأنصارُ مِن مدينتهم المهاجرين[1]، وقولُهم هذا بمنطق الجاهليَّة والعصبيَّة المذمومة الَّتي جاء الإسلام بالنَّهي عنها.

سِرُّ التَّعبير بالأعزِّ دون غيره:

آثر القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بوصف الأعزِّ حكايةً لقول المنافقين في قوله جلّ شأنه: ﴿لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾؛ لأنَّ الأعزَّ عندهم مَن تتوفَّرُ لديه أدواتُ الغلبة مِن سَعة المال وكثرة العَتاد، وهُم يَرون أنفُسَهم كذلك.

دلالةُ التَّعبير بـ(مِن) في قوله ﴿مِنۡهَا﴾:

إثـارةُ الفوضى وعدمِ الاستقرار في المدينة أُمنيَّةٌ للمنافقين

عَبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بحرف الجَرِّ (مِن) في قوله جَلَّ شأنه: ﴿لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ وهي هنا للابتداء، أي لنخرجنّ المهاجرين من المدينة[2]، والمراد أنّ الإخراج سيبدأ مِن داخل المدينة، لأنَّ المهاجرين قد استوطنوا المدينة ويعيشون داخلها. وفيه إشارةٌ إلى أنَّهم يقصدون مركز المدينة وعاصمتها لا الأماكن المجاورة حولها، لأنَّ المدينة هي مقصدُهم، والإخراج منها إخراجٌ لِما حولها.

نُكتةُ تقديم شِبه الجملة:

الإخـــراج مِـن المـديـنـة هـو مقصود المنافقين

قدَّمَ النَّظمُ الجليل شِبه الجملة في قوله جلّ شأنه: ﴿لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ فلم يقل: (الأعزُّ الأذلَّ منها)؛ وذلك للاهتمام بالمكان، إذ المقصودُ الإخراجُ مِن المدينة[3]، وذلك لأنّه ليس للمنافقين مِن حُجَّةٍ سوى أنَّ المدينة بلدُهم أصالةً، فاهتمّوا بتقديم ذِكرِها.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 249.
(2) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 296.
(3) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة: 2/ 417.

بلاغةُ الطِّباق بينَ الأعَزِّ والأذَلِّ:

جَمَعَ النَّظمُ الجليلُ بين لَفظَين متضادَّين في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ على سبيل الطِّباق بينهما، فوَضَعَ الأعزَّ في مقابل الأذلِّ لِشِدَّةِ التَّناقُض بينهما، وهذا يُبرز المعنى مِن خلال التَّضادِّ.

الكشفُ عن انحرافِ القيَمِ في نفوس المنافقين

دلالةُ الواو في قوله ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بالواو في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ وهي هنا للحال، أي (نَسَبوا العِزَّة لأنفُسِهم والذُّلَّ للمؤمنين، والحالُ أنَّ كُلَّ مَن له نوعُ بصيرةٍ يَعلَمُ أنَّ المَلِكَ الأعلى هو الَّذي له وحده العزَّةُ والغلبةُ والقوَّةُ، ولِمن أعَزَّه الله تعالى مِن رسوله ﷺ والمؤمنين)[1]، وفيه إبطالٌ لكلامهم وتكذيبٌ لَهم فيما ادَّعَوه[2].

إبطالُ ما زعموه مِن العِزَّة وإثباتُ اختصاصِها باللهِ تعالى ورسولِه وللمؤمنين

دلالةُ اللَّام في ﴿وَلِلَّهِ﴾:

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بحَرفِ الجَرِّ (اللّام) في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ﴾ وهي هنا لامُ الاختصاص، أي: العِزَّةُ خالصةٌ لِلَّه وحدَه، مِلكًا وتصَرُّفًا، لا يشاركه فيها أحدٌ إلّا مَن أكرَمَه اللهُ بالعزّة تبعًا لعزّته تعالى، وهُم رسولُه والمؤمنون[3].

العزَّةُ مختصّةٌ باللهِ تعالى وحده

نكتةُ تقديمِ شِبه الجملة على المسند إليه:

قدَّمَ النَّظمُ الجليلُ شِبه الجملة على المسند إليه في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ﴾ فَلَم يقُل (والعزّة لله) وذلك للدِّلالة على الحَصرِ والقصر، أي إنَّ العِزَّةَ له وحده تعالى لا لغيره[4]، وهو قصرُ قَلبٍ؛ لأنّهم حَسِبوا أنّ العِزَّة لَهم لِما لَهم مِن كَثرةِ عَددٍ وقوَّةٍ، والمعنى: (العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين وليس لكم كما تحسبون)[5].

قَصرُ العِزَّةِ الكاملة عليه سبحانه

(1) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 296.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 14/ 411.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 253.
(4) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 29/ 334.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 250.

دلالةُ (أل) في ﴿ٱلۡعِزَّةُ﴾:

عرَّفَ النَّظمُ الجليلُ العِزَّةَ بالألفِ واللّامِ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ﴾ وهي هنا لتعريف الجنس، أي إنّ العزّةَ كلَّها لله تعالى وحدَه[1].

سِرُّ التَّعبيرِ بالعِزَّة:

آثَرَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بالعِزَّة لأنَّها تعني الغلبة والغنى الَّذي لا فَقرَ معه، وفي ذلك دعوةٌ للمؤمنين أن يُعزّوا أنفُسَهم ولا يُذلّوها.

نُكتةُ إعادةِ اللّام مَعَ الرَّسولِ والمؤمنين:

مَن اعتَزَّ بالله لا يُذِلُّه أحدٌ

كرَّرَ النَّظمُ الجليلُ حَرفَ اللّام في قوله جَلَّ شأنُه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ وذلك لتأكيد تَمَكُّنِ العِزَّة مِن النَّبيِّ ﷺ والمؤمنين، فهي عزَّةٌ مستمدَّةٌ مِن إيمانهم بالله تعالى، كما أنّ فيه تشريفًا لَهُم بِذِكرِهم مع اسمه وجَعلِهم شُرَكاء بالعِزَّة[2]. فجاء تكرارُ اللّام ليُؤَكِّد ثبوتَ العِزَّة لهم.

دلالةُ الواو في ﴿وَلَٰكِنَّ﴾:

بيانُ جهل المنافقين وانتفاءُ صفة العِلم عنهم

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بالواو في قولِه جَلَّ شأنُه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ وهي هنا للاستئناف[3] لِبَيان حقيقةٍ مُستقِلَّةٍ بذاتها وهي جهلُ المنافقين وانتفاءُ عِلمهم، وجعلُ ذلك في جملةٍ مستأنفةٍ يُنَبِّه على ثبوت هذه الحقيقة ويُقَرِّرُها.

دلالةُ التَّعبير بـ(لكنّ):

وَهمُ الكثرة يغرُّ بالعزّة

عَبَّرَ النَّظمُ الجليل بحرف الاستدراك (لكنّ) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ وذلك لِرَفعِ ما قد يقع مِن وهمٍ مِن قولهم إذ قالوا: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 20/ 89.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/ 233، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 14/ 411.
(3) محمود صافي، الجدول: 14/ 258.

﴿ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ بأنَّهم قالوه عن بصيرة وعِلم، فظنّوا أنَّهم لِكثرتهم أحقُّ بالعزَّة، فأبطَلَ الاستدراكُ بـ(لكن) ذلك الوهمَ، فَهُم إنَّما قالوا ذلك لِجَهلهم وانتفاء عِلمِهم[1].

نُكتةُ العدول عن الإضمار إلى الإظهار:

النِّفاقُ الرّاسخ فيهم أصلُ جَهلِهم

آثَرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالاسم الظّاهر في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ فَلَم يقُل: (ولكنّهم لا يعلمون)، وذلك لتأكيد اتّصافهم بالنِّفاق، فالتَّعبير باسم الفاعل يشير إلى رسوخ الوصف فيهم[2]، وبأنَّه العلَّةُ المُسبَّبة لِجَهلِهم، ولبيان إصرارهم على الكُفْرِ. كما أنَّ الإظهارَ يجعل الجُملةَ مُستقلَّةً بذاتها فتكون أشَدَّ ذَمًّا لهم بالجهل[3].

نُكتةُ تقديمِ المسند إليه على المسند الفِعليِّ المنفيِّ:

تأكيدُ الجَهل وانتفاءُ العِلم عن المنافقين

قدَّمَ النَّظمُ الجليلُ المسند إليه على المسند الفِعليِّ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ لتأكيد الحُكم وتقوية الخبر، فانتفاء العِلم عنهم حكمٌ ثابتٌ لهم، ووصفٌ راسخٌ فيهم. وفيه إشارةٌ إلى أنَّ العِلمَ المنافي للإيمان وللحقيقة ليس علمًا حقيقيًّا، بل هو عِلمٌ بظاهر الحياة الدُّنيا.

دلالةُ التَّعبير بالفِعل المضارع المنفيِّ ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾:

الجهلُ لا يفارق المنافقين

عبَّرَ النَّظمُ الجليلُ بالفعل المضارع المنفيِّ ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ في قولِه جَلَّ شأنه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ للدِّلالة على تجدُّدِ النَّفي واستمراره، فالعلمُ منتفٍ عنهم على الدَّوام، والجهلُ رفيقُهم لا يفارقهم.

ومِن معاني نفي العِلم عنهم وتجهيلِهم عَدَمُ تَأمُّلهم في الأمارات والدَّلائل التي يُظهرها اللهُ لرسوله وللمؤمنين؛ فلم يفطنوا لِتزايد

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 248، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 14/ 411.
(2) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 297.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 250.

المسلمين في أعدادِهم وأراضيهم، وتناقص أرضِ أعداء الإسلام يومًا بعد يومٍ.

نُكتةُ حَذفِ مفعول ﴿يَعۡلَمُونَ﴾:

شمولُ جَهلِهم وفَرَطُ غرورِهم

حَذَفَ النَّظمُ الجليل مفعولَ فِعل (العلم) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ للعلم به من السّياق، إذ التّقدير: (لا يعلمون أنَّ العِزَّة لله ولرسوله والمؤمنين[1] فَهُم مِن فَرَطِ جهلهم وغرورهم يهذون بهذه الأقوال)، ويجوز أن يُنَزَّلَ الفعلُ منزلة اللّازم؛ فلا يُقدَّر له مفعولٌ، وفي ذلك نفيٌ لِصفة العلم عنهم مطلقًا.

نُكتةُ تَكرار نَفي العِلم عنهم بعد نفي الفقه:

لا جهلَ أشدُّ مِن جهلٍ بالبديهيّات

نفى النَّظمُ الجليل العِلمَ في هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ بعدَ أن نفى الفقهَ عنهم فيما سبق في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ وذلك لأنَّ العِزَّة أمرٌ مَعنويٌّ، فهو مظنّة أن يجهلَه الكثيرُ، وقد جهِلَهُ المنافقون ولا يعلمونه فقال: ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

ونفى الفِقهَ عنهم في الآية السّابقة لِأنَّ الإنفاق أمرٌ ظاهرٌ حِسّيٌّ، وأكثرُ النّاس يعلمون أنَّ الرِّزقَ مِن عند الله تعالى فلا يحتاج هذا الأمر إلّا القليل من الفهم والفقه، فنفي الفقه تشنيعٌ وتقبيحٌ أشدُّ مِن نفي العلم[2]. لأنَّ إثباتَ الفقه للإنسان أبلغُ مِن إثبات العِلم؛ فيكون نفيُ العِلم أبلغَ مِن نفي الفقه؛ فأوثر ما هو أبلغ لما هو أدعى له، وبذلك تظهر بلاغة القرآن في اختيار كُلِّ فاصلة لِما هو مناسبٌ لسياقها وموضوعها.[3]

(1) السّمعانيّ، تفسير السّمعانيّ: 5/ 446.
(2) محمّد الهلال، تفسير القرآن النّريُّ الجامع: 28/ 92.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 28/ 116.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الانفضاض والتّفرّق:

الانفضاضُ كسرٌ وتفرُّقٌ كثيرٌ بعد اجتماعٍ، والتّفريقُ انفصالٌ

الانفضاضُ أصلُه يدُلُّ على تفريقٍ وتجزئة، انفضَّ القوم: تفرَّقوا[1]. الفَضُّ: كسر الشيء والتّفريق بينَ بعضِه وبعضِه، كفَضِّ ختم الكتاب، وعنه استُعيرَ: انْفَضَّ القومُ. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: 11][2]. والفضُّ: تفريقك حلقةً من النّاس بعد اجتماعهم، يقال: فضضتهم فانفضّوا أي فرَّقتهم[3]. فهو تفرّق كثيرٌ ككسر الشّيء.

أمّا التّفريق فأصله يدلّ على تمييزٍ وتزييلٍ بين شيئين[4]. والفَرْقُ يقارب الفلق لكن الفلق يقال اعتبارًا بالانشقاق، والفرق يقال اعتبارًا بالانفصال. والفِرْقُ: القطعة المنفصلة، ومنه: الفِرْقَةُ للجماعة المتفرّدة من النّاس، وقيل: فَرَقُ الصّبح، وفلق الصّبح. قال: ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء: 63]، والفَريقُ: الجماعة المتفرّقة عن آخرين[5]. فالتّفريق يدلّ على انفصالٍ بين شيئين أو أكثر، أمّا الانفضاض فيدلّ على تفرّق كثير، كما ينكسر الشّيء ويتفتّت إلى قِطَعٍ صغيرة.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فض).
(2) الرّاغب، المفردات: (فض).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (فضض).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فرق).
(5) الرّاغب، المفردات: (فرق).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والستون،
سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 62 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-640-02-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 62 : المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-640-02-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5378070 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"